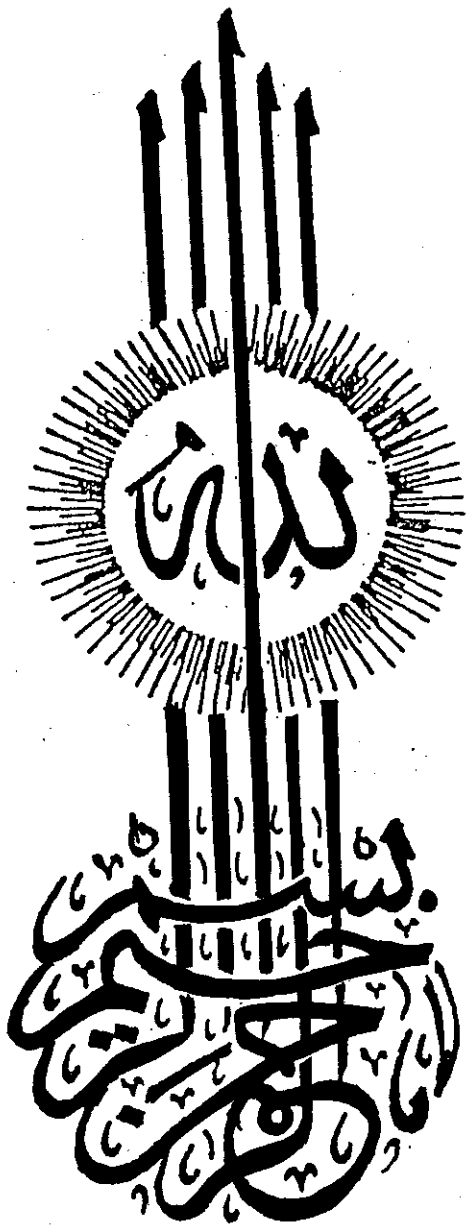


# قالوا سبحانك

لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم

سورة البقرة آية ٣٢

صدق الله العظيم

# المقدمة

موضوع هذا البحث هو العز بن عبد السلام حياته ودراسة وكتابه « الإشارة إلى الإيجاز في بعض المجاز » ، وترجع صلتى بكتاب « الإشارة إلي الإيجاز ....» لما ذهبت إلى أستاذنا الدكتورمحمد زغلول سلام وسألنى عن الإتجاه الذى أحب العمل فية فقلت الدراسة والتحقيق، وقد كان فرحا ، خاصة وأن كليات الآداب قد اتجهت فى الفترة الأخيرة إلى تشجيع طلابها على دراسة الأ علام وتحقيق كتبهم .

ولما عز علينا الحصول على نسخة مخطوطة كأصل للكتاب رأى أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام أن يكتفى بالدراسة دون التحقيق،رغم أننى حصلت أخيرا على نسخة منها وجارى تحقيقها لنشر الكتاب محققا تحقيقا علميا سليما .

وهدا النمط من الدراسة له أثر عظيم في تثقيف الطلاب ، وإثرائهم بالمعلومات فى شتى العلوم لأن دارس الكتاب يقتضيه البحث العلمى والدراسة الموضوعية أن يقدم صاحبه واصفا إياه خُلقا وخَلقا ، والمراحل التي مر فيها ، والعصر الذى عاش فيه ، وأن يدرسه من جميع نواحيه العلمية والفكرية التى برع فيها ، والمؤلفات التى صنفها ، دراسة مستفيضه لايدع شاردة ولا وادرة إلا ويطلع عليها مع وعي كامل كما ينبغى أن تكون عليه الدراسة السليمة ليعطى القارئ صورة واضحة المعالم محددة الجوانب معبرة عن علمه وأسلوبه في البحث والدراسة ، وفي هذا مزيد من الإثراء العلمى لايتهيأ لباحث جزئيه واحده من جزئيات العلم الذى لايلتفت إلى مثل هذه الأمور إلا لماما .

وتزداد الصورة وضوحا عند تناول الباحث لهذا العلَم فى فن من فنون العلم العديده من فقه وأصول وتفسير وحديث ولغة ونحو وبلاغة ، فيقتضيه ذلك أن يطلع على هذا العلَم بأكمله بحيث يبحث فى دقائقه ويدرسه من أوله إلى آخره، وهذا مالايحدث مثله عند باحث جزئيه واحدة من جزئيات البلاغة مثلا .

ثم ازدادت صلتى بالكتاب لما قرأته مرارا واستوعبت مافيه ، وشجعنى على المضي فى هذا الاختيار أن الكتاب يدور بمباحثه حول أقوم كتاب جاء بلسان عربى مبين ، ذلك أنه يدور حول القرآن ، ويبحث قضية المجاز والإعجاز فيه ، وقضية المجاز فى القرآن من القضايا التي شغلت علماء البلاغه والأصوليين قديما وحديثا ، ووجهت مباحثهم وجهة لم تكن لتتجهها لو لم يكن هناك هذا الكتاب ، حتى لقل أن نقرأ كتابا في هذا المجال لا يشير فيه مؤلفه إلي القرآن وصلته بالبلاغة .

وشجعنى أيضا على هذا الاختيار أن أحدا من الباحثين فى البلاغه لم يتناول الكتاب بدراسة أو يتصدى له بكتاب يكشف عن وجه الرأي فيما تضمنه من قضايا بلاغية اللهم إلا ماكان من بعضهم فى ثنايا ماكتبوا وهم بين مطرٍ له ولامز عليه لما رأى فى الكتاب من توسع فى عرض المجاز أو إعادة لقضايا نحوية في ثوب بلاغي لم يُعهد عند الرواد الأوائل .

ولهذه الأمور مجتمعة وجدتني ميالا لهذا اللون من الدراسة، ولاقى فى نفسى ميلا شديدا بعد أن وجدت التشجيع الكامل من أستاذنا الكبير الدكتور محمد زغلول سلام حفظه الله وأبقاه وأدامه ، فاستعنت بالله في هذا السبيل وبدأت .

وإذا كانت هذه هي حوافز الاختيار، فإن الأهداف التى تو خيت الوصول إليها بهذه الدراسة هي النظر فى الكتاب وفيما تضمنه من آراء وقضايا بلاغيه وأصولية نظرا يعين على تقييمه ، ويكشف عما عسى أن يكون فيه من آراء وقضايا تخدم البلاغة والنقد بعد أن تخدم قضية المجاز وهذا بدوره يعين على تحديد مكانة العز فى مجال البلاغة ، ووصفه فى المنزلة التى تليق به ،

كذلك توخيت بهذه الدراسة أن أضيف لبنة إلى صرح تراثنا العربى ذلك التراث الذي تعتز به كلية الآداب وتعمل دائبة على تنميته والإضافة إليه ، فوق ماتبذل فى سبيل الحفاظ عليه في ظل أساتذة يعملون لخدمة القرآن ولغة القرآن ، هذا إلي مافي البحث العلمى لذاته ، وتقصى الحقيقة لوجه الحقيقه من لذة ومتعة ، لاسيما حين يصل الباحث إلى حكم يعتمد على دليل .

وإذا كان عنوان البحث «دراسة كتاب " الإشارة إلي الإيجاز فى بعض أنواع المجاز" فقد جاء على قسمين وخاتمة :

أولهما : القسم التاريخي وثانيهما: القسم الخاص بدراسة الكتاب .

أما القسم التاريخي فقد تكلمت فيه عن عصر العز وحياته في خمسة فصول تكلمت فى الفصل الأ ول عن عصر العز من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية ،وبينت أنه عاش فى القرن السابع الهجرى ، وقت كانت الأمة ممزقة الأوصال قلقة الأحوال مضطربة الأوضاع مليئة بالمفاجآت ، فشهدت خلاله أخطر الحوادث من غزو تترى وصليبى مدمرين واحتلال لمعظم الدول فكانت أخطر هجمة عرفتها الأمة حتى الآن .

وقد صاحب هذه الأوضاع شيوع المفاسد وانتشار المنكرات، ورغم هذه الحالة السيئه فقد تبدت محاسن لابأس بها فى هذا العصر ، وقد كانت هذه المحاسن في المجال العلمي حيث ازدهر العلم فأنشئت المدارس ودور العلم وبنيت المكتبات وزودت بنفائس الكتب ،

فكانت حركة التأليف بشكل ملفت للأنظار مما كان له فضل عظيم فى حفظ التراث .

أما الفصل الثانى فقد تكلمت فيه عن حياة العز بن عبد السلام ونشأته وبينت فيه أن حياته كانت حافلة بكل عظيم من الصفات والأخلاق ، وأنه بذل من الجهد فى مجالات العلم ماجعله يحوز إعجاب المعاصرين واللاحقين في جميع الفنون العلمية والأنشطة الاجتماعية .

فكان مثال العالم العامل الذي هيأته الأقدار ليكون فارس هذا العصر وبطله المغوار وكأنه كان على موعد مع القدر في هذه الحقبة الصعبة التى عاشها المسلمون ليصحح مسار الحركة السياسية والعلمية والاجتماعية لهم ، فاستحق أن يكون مضرب المثل ، وأن تضرب به الأمثال كقولهم ( ماأنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام ) .

أما الفصل الثالث فقد تكلمت فيه عن شيوخه وأقرانه وتلاميذه في مباحث ثلاثة علي التوالى، وترجمت لهم ترجمة توضح حالهم ، وتبين مواضع التأثير والتأثر فى حياة العز .

أما الفصل الرابع فقد خصصته لمؤلفاته العلمية ، ومانسب إليه زوراً ، وطريقته ومنهجه في التأليف عامة ، وقد بذلت في هذا الفصل جهدا كبيراً لتحقيق مانسب إليه من مؤلفات حتى يكون الكلام في هذا الفصل أقرب إلي الصواب بعينه .

وقد لخصت بعض هذه المولفات بصورة موجزة ، لأعطى القارئ فكرة عن محتوياتها .

ثم انهيت القسم الأول بالفصل الخامس الذى تحدثت فيه عن اتجاهات العز وآرائه الفكرية في مجالات سبعة هي : علوم اللغة والبلاغة والتفسير ، والحديث، والعقيدة ، والتصوف ، والدعوة والخطابة ، لأنهى بذلك القسم التاريخى .

أما القسم الثانى وهو صميم الرسالة وعنوان البحث ، فقد جاء فى خمسة فصول:

**الفصل الأول** : تكلمت فيه عن الإعجاز القرآنى وأثره على البلاغة ،متناولا الدراسات السابقة للعز كأبى عبيدة والفراء وابن قتيبة والواسطى والرمانى والخطابى والباقلانى والشريف الرضى وعبد القاهر والزمخشرى ، وهى دراسات كان لابد منها للحديث عن الإعجاز عند عز الدين بن عبد السلام فى كتابه «الإشارة » ومن ثم تكلمت عن نسبة الكتاب وتوثيقه وأثبت أنه للعز لا لغيره ، وتكلمت عن نبذة سريعة لمحتوياته.

**أما الفصل الثانى** فقد تكلمت فيه عن الحذف بين النظم والمجاز ، وقد ضم هذا الفصل مبحثين : أولهما : الحذف بين النحويين والبلاغيين ، وثانيهما : الحذف عند عز الدين بن عبد السلام ، والبحث الأول كان لابد منه لإمكانية الربط بين جهوده فى الحذف وجهود البلاغيين والنحويين .

**أما الفصل الثالث** فقد تكلمت فيه عن المجاز بين الأصوليين والبلاغيين لانتقل بعد ذلك إلى الفصل الرابع الذى خصصته للحديث عن المجاز عند عز الدين بن عبد السلام ، والذى توصلت فيه إلي نتائج جعلت العز يقف في مصاف البلاغيين رافع الجبين .

**أما الفصل الخامس** فقد جعلته للمباحث الأ خري التي تحدث عنها العز فى كتابه وخاصة القسم الأخير الذى جعله بعنوان « مقاصد الكتاب العزيز » وهي مباحث بعيدة كل البعد عن القضايا السابقة من الكتاب ، وقد آثرت تخصيص فصل مستقل لها لتتم بذلك دراسة الكتاب دراسة مفصله .

وأخيرا جاءت الخاتمة وتحدثت فيها عن مسائل هي :

١- بين العز والذين كتبوا فى المجاز وخصوه بالتأليف وهما : أبو عبيدة، والشريف الرضي والغاية التى توخيتها من ذلك أن نتبين مدى تأثر العز بغيره وتأثيره فيمن جاء بعده .

٢- بين مناحي التأثير والتأثر : وقد وضحت فى هذه المسأله مدى تأثير العز فيمن جاؤا بعده سواء كانوا بلاغيين أم أصوليين وجعلت ذلك في جدول يبين الأبواب التى اشترك فيها المتأثرون به مع ماكتبه فى « الإشارة إلى الإيجاز» .

أما تاثره بغيره فلم أترك مسألة تأكدت فيها من تأثره إلا وعلّقت عليها فضلا عن أني ذكرت الذين تأثر بهم العز ضمن شيوخه بالقسم الأول من الرسالة

٣- المحدثون والعز :

وفى هذه المسأله بينت رأى النقاد المحدثين في كتاب العز وناقشتهم فيما قالوه لأُعطي كل ذى حق حقه فى موضوعية تامة .

٤- دراسة تقويمية لكتاب العز :

ورغم أنني لم أترك فرصة واتتنى للحديث عن جهود العز وماله وماعليه فى ثنايا البحث والدراسة فقد اشتملت هذه المسألة علي ثلاثة أمور :

أ- منهج المؤلف في الكتاب وماله فيه .
ب- مصادر المولف فى الكتاب .
ج- نقد الكتاب وماعليه .
وذلك كله لبيان جهود العز فى الكتاب وبيان أصالته فيه .

ولعله يتضح من ذلك التصوير الخاطف لقسمي الرسالة وفصولها أن المنهج فى جملته تاريخى فنى تحليلى مقارن .
ذلك أنى عرضت فى القسم الأول لعصر الرجل سيا سيا واجتماعيا وعلميا كما عرضت لنشأته وثقافته، ومصادرها والعوامل المؤثرة فيها، وشيوخه وأقرانه وتلاميذه ومصنفاته ، وآرائه واتجاهاته وغير ذلك .

ثم عرضت فى القسم الثانى لظاهرة الحذف بين النحويين والبلاغيين وصلتها بالمجاز . ثم عرضت لظاهرة المجاز بين الأصوليين والبلاغيين وتطورها بين المجوزين والمنكرين على يد العلماء حتى نصل بذلك إلى الظاهرة عند عز الدين فيعرضها كما هى أو يعدل فيها أو يزيد عليها أو يرفضها .

وأود أن أشير هنا إلى أنى لم أقف عند حدود العرض ، وإنما أردت أن يكون ذلك سبيلا إلى الدراسة والتحليل ، وفى أثناء ذلك كله فإنى أدلى برأيى فى الرأى ، وأقول فى القضية بما وصل إلى علمى من اطلاع ولا أصدر فى ذلك إلا على أساس من التذوق الفنى الذى تؤدينى إليه دراساتى ، مؤمنا بأن رسالة الباحث أن يكون صاحب رأى دون أن تصده عن الخوض فى معالجة الموضوع الذى يتناوله ، مخاوف الخطأ أو القصور عن بلوغ الكمال .

وألفت النظر إلى أن ما تعرضت إليه من مواضع الصلة بين النحويين الأصوليين والبلاغيين وكتاب العز جاءت قاصرة ، لأنها مواضيع كبيرة ، لها أبعاد هائلة تجعلها أكبر من أن يلم بها باحث ، أو تطوى بين دفتي رسالة خصصت لدراسة كتاب وصاحبه ، ولذلك حرصت أن يكون بحثى أقرب إلى الشمول منه إلى التفصيل الدقيق بمسائل ليست هى من صلب الموضوع .

وأما عن المراجع فلعل طبيعة الموضوع تكون هى التى حددت لى ذلك فلم أكن لأختار، وإنما كان حتما أن أرجع إلى كتب التاريخ والطبقات فى تناول القسم الأول ، كما كان حتما ولزاما أن أرجع إلى كتب اللغة والنحو والتفسير والقراءات والنقد والبلاغة فى تناول القسم الثانى .

ولا أزعم أنى أتيت بما لم يؤت ، ولكنى حاولت الإلمام بكثير من المراجع وإن كلفنى ذلك عناء المال والجهد والسفر ، وقد ذكرت بثبت المراجع آخر الرسالة ما وصلت إليه يدى وأخذت منه فى بحثى .

على أنى أشير هنا إلى أنى استفدت ممن سبقونى وتناولوا العز بالدراسة فى الجانب التاريخى أمثال الأستاذ الدكتور عبد العظيم فوده ود. عبد الله الوهيبى والدكتور على مصطفى الفقير ، وكل الذين كتبوا عن العز فى المجالات الأخرى غير أنى زدت عليهم بتمحيص ما وصلوا إليه ، وقد أرفض أو أقبل ، وأرد وأزكّى ، ولا أصدر فى ذلك إلا على أساس علمى صحيح .

ومع أن كتاب «الإشارة إلى الإيجاز » هو مصدر الدراسة، فإن ذلك لم يمنعنى من الرجوع إلى ماللعز من مسائل بلاغية متفرقة فى ثنايا الكتب التى ألفها، وقد تكون سابقة أولاحقة لكتابه، كما أنى استأنست فى أحيان كثيرة بما جاء فى كتابه « فوائد فى مشكل القرآن » ذلك لأن كثيرا مايردد آراءه التى جاءت فى كتابه « الاشارة ..» بهذا الكتاب وكتاب « الإمام فى بيان أدلة الأحكام » .

وقد خرّجت الآيات القرآنية ، ودللت على مواضعها من القرآن ذاكرًا السورة ورقم الآية، وخرجت الأحاديث النبوية ، وعزوت كل حديث إلى مصدره من كتب الصحاح والسنة ، وعزوت الشعر إلي أصحابه وغيره من الأمثال والأقوال المأثورة ليسهل الرجوع إليها فى مظانها .

وبعد فإنى قبل الفراغ من المقدمة أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الكبير العالم الناقد الأستاذ الدكتور / محمد زغلول سلام ، الذي أشرف على البحث وتولي توجيهة ، وأشرف عليه بعد أن فرغت من إعداده وكتابته وإذا كان فى الأولى قد أرشد إلى المنهج وأشار إلى المراجع ، فإنه فى الثانية قد نبه إلى حتمية التغيير فى كثير من المواضع ، مع ماكان يترك لى من حرية الرأي حين أصر على رأي ، وكان يفتح صدره وقلبه وعقله لكل ماأراه .

وكثيرا مافتحت لى آراؤه وتوجيهاته القيمة أبواب الفهم وجنبتنى مواضع الزلل فى الحكم أو الميل مع الهوى .

وبالجملة فإنى أذكر لفضيلته بالشكر والثناء موفور مامنحني من وقت وجهد مع جلال السن وكثرة الشواغل، حتى لكنت أستحى من كثرة حديثى معه عبر الهاتف، أو ترددى على منزله ، ولكنه حق العلم والوفاء للمعرفة والبر للأبناء، فمد الله فى عمره وأطال

بقاءه ، ونفع به لما حبانى من عطفه ومنحنى من حنوه وشفقته ورحمته ماجعلنى مطوق العنق بفضله إلي يوم الدين .

ومهما أطلت فى المدح والثناء أجدنى عاجزا عن إيفائه بعض حقه ، ولاأملك إلا أن اتوجه إلى الله رب العرش بالدعاء طالبا منه أن يجزيه عنا خير وأفضل ماجزى عالما عن دينه وأمته وعلمه وإحسانه .

كما أذكر بالخير الوافر أستاذى الدكتور محمود عبد النبي سعد الذى كان لملاحظاته وتوجيهاته الفقهية والأصوليه عظيم الشأن فى البعد عن الزلل ، وأشكر له مراجعته للبحث من الو جهة الإسلامية .

ولقد أشار بكثير من التعديلات والتخريجات التى أجريتها والتزمت بها كلما وجدت إلى ذلك سبيلا .

وبعـــد

فتلك قصة هذا البحث ، وقد بذلت فيه ما وسعنى ، وأرجو أن أكون قد وفقت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أوأخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» ... «صدق الله العظيم»

السيد حسونه